مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد - مجلة علمية محكمة- العدد الثامن عشر (الجزء الأول)

ندرة الغذاء وأثره على الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة خلال القرن السادس الميلاديِّ

د/ ساره على عبد المجيد صبري(*)

المستخلص:

يهدفُ البحث إلى إلقاء الضَّوْء على أهم أنواع الغذاء التي يعتمد عليها مختلف الطبقات في المجتمع البيزنطى ، بالإضافة إلى الأساليب المستخدمة لحفظ الطعام لدى الشعب البيزنطى لمواجة الأزمات الغذائية ، كما تمت الإشارة إلى بعض الأزمات الغذائيَّة التي مرَّت بها بعض أقاليم الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة في القرن السادس الميلاديِّ، فقد كانت تلك الأزماتُ عاملًا أساسيًّا لتدمير ملامح الحياة الاقتصاديَّة بشكلٍ خاصٍّ، وقد عانت بعضُ أقاليم الإمبراطوريَّة بين الحين والآخر من العديد من الكوارث والأزمات التي أدَّت بدورها إلى نُدرة وشحٍّ في الغذاء، بل إلى المجاعات أيضًا، من جرَّاء تدمير الأراضي الزراعيَّة وتلف المحاصيل؛ وذلك لعدَّة أسبابٍ، منها: هجومُ أسراب الجراد والجفاف والفيضانات، ممَّا أثقل كاهل الأباطرة بمزيدٍ من المُشكلات حتى حاول البعضُ منهم تجاوُزَها بشتَّى الطرق.

الكلمات الدالة: المواد الغذائيَّة، الحبوب، الأزمات، الإمبراطورية البيزنطية.

Abstract:

The research aims to shed light on the most important types of food that the different classes in Byzantine society depended on, in addition to the methods used to preserve food among the Byzantine people to face food crises. Some food crises that some regions of the Byzantine Empire went through in the sixth century AD were also mentioned. These crises were a major factor in destroying the features of economic life in particular. Some regions of the empire suffered from many disasters and crises from time to time, which in turn led to scarcity and scarcity of food, and even to famines as a result of the destruction of agricultural lands and the damage of crops; This was due to several reasons, including: the attack of locust swarms, drought and floods, which burdened the emperors with more problems until some of them tried to overcome them in various ways. The research aims to shed light on the most important types of food that the different classes in Byzantine society depended on, in addition to the methods used to preserve food among the Byzantine people to face food crises. Some food crises that some regions of the Byzantine Empire went through in the sixth century AD were also mentioned. These crises were a major factor in destroying the features of economic life in particular. Some regions of the empire suffered from many disasters and crises from time to time, which in turn led to scarcity and scarcity of food, and even to famines as a result of the destruction of agricultural lands and the damage of crops; This was due to several reasons, including: the attack of locust swarms, drought and floods, which burdened the emperors with more problems until some of them tried to overcome them in various ways.

Keywords: Food, Grains, Crises, Byzantine Empire.

(*) مدرس بقسم التاريخ كلية الآداب- جامعة أسوان

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٣

الدِّراسات السَّابقة:

تمَّت الإشارةُ إلى الغذاء المُستخدَم للشعب البيزنطيِّ في العديد من المُؤلَّفات العربيَّة والأجنبيَّة، ولكنَّ إلقاءَ الضَّوْء على ندرة الغذاء وشحِّه ممَّا يُؤدِّي إلى المجاعات وبعض الأزمات الاقتصاديَّة في القرن السادس الميلاديِّ لم يتمّ ذكرُه بشكلٍ واضحٍ وصريح، ومن هذا المُنطلق سلَّط هذا البحثُ الضَّوْءَ على أنواع الغذاء الرئيسيَّة التي يعتمد عليها المُجتمع البيزنطيُّ، وأسباب نُدرتها ونقصها، وتأثير ذلك على الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة.

وعلى حدِّ علمي المُتواضع لا تُوجد دراسةٌ مُتخصِّصةٌ باللغة العربيَّة تناولت "نُدرة الغذاء في الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة خلال القرن السادس الميلاديِّ"، إلا أنَّ هناك دراسةً لموسى رجب تناولت الكوارث التي مرَّت بها الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة بعنوان "الكوارث الطبيعيَّة في الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة (٦١٠-٢٨٤م)"، رسالة ماجستير غير منشورة، كليَّة الآداب، جامعة المنيا، ٢٠١٥.

وأيضاً دراسة موسى رجب" طاعون جستنيان (٥٤٣-٥٤١م) وآثاره على الدولة والمُجتمع في الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة، المجلة العربيَّة للعلوم الإنسانيَّة، جامعة الكويت، إصدار خاص ٢٠٢١م."

هذا إلى جانب بعض الدِّراسات الأجنبيَّة التي تناولت أهمَّ أنواع الغذاء وطُرق حفظه، كدراسة:
Linda Leestemaker, The need for preserved food in the Byzantine Empire, Universiteit Leiden, Faculteit der Archeologie,2014.

المُقدِّمة:

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ المواد الغذائيَّة تعدُّ مصدراً أساسيًّا لبقاء الإنسان على قيد الحياة؛ وذلك من أجل مَنْحِه الطاقةَ والنشاطَ ومُساعدته للقيام بأنشطة حياته اليوميَّة، إضافةً إلى دورها المهمِّ في الوقاية من الأمراض(١). ولأنَّ الحصول على كميَّاتٍ كافيةٍ من الغذاء أمرٌ أساسيٌّ لاستمرار الحياة، فقد اتَّبعت الحكومة البيزنطيَّة في كثيرٍ من فترات تاريخها سياسةَ التَّهجير الإجباريَّة في المناطق التي هجرها سُكَّانها والتي تعرَّضت لنقصٍ في الأيدي العاملة التي تقومُ على فلاحة الأرض، وبالتالي توفير غذاءٍ مُناسبٍ للسكَّان، وتجنُّب الأزمات الغذائيَّة. (٢)

(١) نعيمة محمد إبراهيم، الأطعمة والأشربة في الأديرة المصريَّة في العصر البيزنطيِّ – دراسة تاريخيَّة في ضوء سياحة الطعام Food Tourism، مجلة اتِّحاد الجامعات العربيَّة للسِّياحة والضِّيافة (JAAUTH)، مج٢٣، عدد١، ديسمبر ٢٠٢٢، ص٢٧٤.

(2) Charanis,p., The Transfer of Poulation as a Policy in the Byzantine Empire,Comparative Studies in Society and History , Jan. 1961,p.141.;

راجع أيضاً: محمد زايد عبد الله، التركيب العرقي والطبقي للمُجتمع البيزنطيِّ، نشر في المُجتمع البيزنطي، دار الحياة، ٢٠١٧م، ص ٥٦.

وقبل الحديث عن أهمِّ مصادر الغذاء في الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة، علينا أنْ نُشير إلى كيفيَّة حصول الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة على أهمِّ المواد الغذائيَّة، فقد كانت الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة مُرتبطةً بطرقٍ تجاريَّةٍ مهمَّةٍ، مثل طريق الحرير(٣)، كما استطاعت من خلال مصر الحصولَ على كثيرٍ من البضائع من أفريقيا والهند، فضلًا عن الدور المهمِّ الذي لعبته العاصمة البيزنطيَّة (القسطنطينيَّة) التي هي معروفةٌ في جميع أنحاء العالم بأنها الميناءُ التجاريُّ الرئيسيُّ بين الشرق والغرب، وكانت مركزًا مهمًّا للاستيراد والتصدير والتبادل التجاريِّ، وكانت الحبوب من أهمِّ المُنتَجات التصديريَّة من مدينة القسطنطينيَّة، فقد كان يتمُّ تصديرُها من مخازن الحبوب إلى المناطق النَّائية في الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة أو إلى العالم الخارجيِّ، ولم يقتصرْ الأمرُ على الحبوب فحسب، بل كانت هناك مُنتَجاتٌ فاخرةٌ تُجلَب من آسيا وأفريقيا، مثل الأعشاب والحرير والبخور، ويتمُّ شحنُها من وإلى العاصمة البيزنطيَّة. (٤)

أهمُّ الموادِّ الغذائيَّة:

كانت بيزنطة واحدةً من أقوى القوى الاقتصاديَّة والثقافيَّة والعسكريَّة في أوروبا؛ لذلك تنوَّعت المواد الغذائيَّة التي اعتمد عليها الأفراد داخل الإمبراطوريَّة، فقد اعتمدت كلُّ فئةٍ من فئات المُجتمع على صنفٍ غذائيٍّ أساسيٍّ في حياتها اليوميَّة، وعلى الرَّغم من أنَّ الحبوب بمُختلف

(٣) طريق الحرير: من أعظم الطرق التجاريَّة في العالم وأكثرها أهميَّة، فيمتدُّ مسارُهُ الجغرافيُّ للصحراء الكبرى في آسيا لمسافة خمسة آلاف ميل، يمرُّ فيها بالعديد من البُلدان تبدأ من الصين مرورًا بالاتِّحاد السوفيتيِّ حاليًّا وإيران والعراق وسوريا، ويمرُّ أيضًا بأفغانستان وتركيا وباكستان والهند ولبنان والأردن ومصر، وهو ساعَد على تبادُل أنواعٍ مُختلفةٍ من السِّلع، مثل كثير من الزهور والفواكه والفانيليا والبرتقال والخوخ والكمثرى، فضلًا عن الورق والأسلحة ومُعدات الحصار والبارود والتي هي موطنها الأصليُّ الصين، وانتقلت إلى الغرب من خلال طريق الحرير، وأخذت الصين من الغرب العنب والنبيذ والبرسيم والخيار والتين. انظر:
إيرين فرانك وديفيد براونستون، طريق الحرير، ت: أحمد محمود، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٨٦، ص٢٠- ١٤-١١٥.

(4) Linda, L., The need for preserved food in the Byzantine Empire, Universiteit Leiden, Faculteit der Archeologie,2014,pp.4-8.

كذلك عندما بدأت حركة الفتوحات الإسلاميَّة اختفت سلعة التوابل والبخور من المناطق التي تحت حيازة الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة التي كانت تستورد من أقاصي الشرق ثم يُعاد تصديرُها من موانئ البحر المُتوسِّط إلى أوربا والدولة البيزنطيَّة؛ وذلك بسبب الاضطرابات السياسيَّة التي كانت في أماكن استيرادها في الشرق الأقصى، فحاولت الدولة البيزنطيَّة إيجادَ طريقٍ آخرَ لهذه السلعة عن طريق الخزر والصين بعيدًا عن السيطرة الإسلاميَّة. انظر:
وسام فرج، العلاقات بين الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة والدولة الأمويَّة حتى نهاية القرن الثامن الميلاديِّ، الإسكندريَّة، ١٩٨١م، ص٢٨٦.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٣

أنواعها كانت العاملَ المُشتركَ في الغذاء بين جميع فئات المُجتمع، فإنَّ هناك بعض أنواع الحبوب كانت تدلُّ على الثراء بين الطبقات الاجتماعيَّة المُختلفة، فقد أكل الجميعُ الخبزَ من الطبقات الأرستقراطيَّة إلى أفقر المُواطنين، ولكنَّ نوعيَّة الخبز كانت مُختلفةً إلى حدٍّ كبير، فيُعَدُّ الخبز الذي تأكله الطبقات الدنيا "خبزاً قذراً"، فقد كانوا عادةً يلجأون إلى الخبز المُكوَّن من الحبوب الأقل جودة؛ لأنَّ الدقيق الناعم كان باهظَ الثمن، وكانت الطبقات العليا فقط هي القادرة على شراء أرغفة الخبز الفاخرة، في حين أنَّ الطبقات الدنيا أكلوا الحبوب الرَّديئة، مثل الشعير والدخن والحنطة. (٥)

ومن المُنتَجات الغذائيَّة الأخرى المهمَّة ما يُسمَّى بـــ "ثالوث البحر الأبيض المُتوسِّط": الحبوب والزيتون والعنب ومُشتقَّاتها، وينتج منها مُنتَجات ثانويَّة رئيسيَّة هي الخبز والزيت والنبيذ، وكان يتمُّ زراعتها في حوض البحر المُتوسِّط (٦)؛ كما لعبت الفواكه والنباتات والخضروات الطازجة دوراً مهمًّا في النظام الغذائيِّ في الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة؛ لذلك حَرَصَ البيزنطيُّون على الحفاظ عليها طوال العام عن طريق تجفيفها وإخراج الماء منها؛ من أجل الحفاظ عليها وتخزينها لضمان تواجُدها طوال العام.(٧)

(٥) كان الطعام الرئيس لطبقة الفقراء هو الشعير والدخن والشوفان وبعض الحبوب مثل البازلاء والعدس، وكان الشعير يُزرَع في اليونان لتحمُّله الجفاف والملوحة، أمَّا الدخن فقد كان يُعتبَر أقلَّ شأنًا منهم جميعًا، فقد كان يتمُّ تناولُه في حالة عدم توافُر أيِّ شيءٍ آخر، أمَّا الذُّرة فقد كان يتمُّ استيرادُها في الغالب من مصر، حيث كان من السهل طحنُها إلى دقيقٍ وتكوين خبز، كذلك وَضع الفلاحُ البيزنطيُّ الشمر والينسون في العجين؛ لينفخَ الخبزَ بسرعةٍ وليسهلَ هضمُه، ثم أضاف إليه الخميرةَ، وفي بعض الأحيان كان يَستخدم النبيذ عوضًا عن الخميرة. انظر:

قسطوس بن اسكوراسكينه، كتاب الفلاحة اليوناني، ترجمه من اليونانية/ سرجس بن هليا الرومي، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٩٣هـــ/ ١٨٧٦م، ص٣٤؛ راجع أيضًا:

Laiou, A. E. and Morrisson, C., The Byzantine Economy, Cambridge University Press, 2007.,p.30.; Linda Leestemaker, The need for preserved food,p.7.

(6) D. C. Stathakopoulos, Between the field and theplate: how agricultural productswere processed into food, Papers of the 37th annual Spring Symposium of Byzantine Studies in(Eat, Drink, and Be Merry (LukE 12:19) Food and Wine in Byzantium), in Honour of Professor a.a.M. Bryer., Byzantine Studies,2007,p.28.

(7) Michael, G., Store in a cool and dry place: perishable goodsand their preservation in Byzantium, Papers of the 37th annual Spring Symposium of Byzantine Studies in(Eat, Drink, and Be Merry (LukE 12:19) Food and Wine in Byzantium), in Honour of Professor a.a.M. Bryer., Byzantine Studies,2007,p.43.

وكان زيت الزيتون أكثرَ أهمِّيَّةً بوصفه مُنتجًا رئيسًا في النظام الغذائيِّ مُقارنةً بالزيوت الأخرى مثل زيت الكتان، فقد كان يتمُّ إنتاجُ زيت الزيتون في فلسطين من منتصف القرن الرابع حتى مُنتصف القرن السابع الميلاديِّ، وكان يوجد في الأديرة البيزنطيَّة في فلسطين مَعاصِرُ لإنتاج زيت الزيتون، وكان يتمُّ بيعُه للحجَّاج البيزنطيِّين[٨].

أمَّا فيما يخصُّ اللحوم والأسماك والفاكهة والخضروات فلم تكنْ جميعُ الطبقاتِ قادرةً على شرائها، فقد اعتمدتْ طبقةُ الفلاحين – على سبيل المثال – في غذائها على بعض الخُضَر، كاللفت والفول والبصل والثوم، إلى جانب الخبز المصنوع من الذُّرة والشعير، أمَّا أكلُ اللحوم فقد كانوا يأكلون الدجاجَ وغيره من الطيور في المُناسبات، ولا يتذوَّقون اللحم أو السَّمك إلا نادرًا، وفي حفلات الزواج كان يتمُّ إعداد أنواعٍ مُختلفةٍ من الأطعمة من عسل وشطائر ونبيذ. [٩]

---

(8) Whittow,M., The Making of Byzantium,600-1025,University Of California Press,1996, p. 62.

كما كانت أشجار الزيتون تنمو في مُعظم المدن البيزنطيَّة الشرقيَّة، مثل مدينة عموريَّة، وكان أيُّ عجزٍ في استيراد الزيت يُؤثِّر بشدَّةٍ على الطلب المحليِّ للمصابيح، فقد كان هناك اهتمامٌ ملحوظٌ بالأعمال اليدويَّة، ومنها صناعة المصابيح في الكنائس والأديرة، فقد اعتمدت صناعة المصابيح على زيت الزيتون في بيزنطة، وكانت الأديرة البيزنطيَّة تمتلك عددًا من المشروعات الصِّناعيَّة، مثل إنتاج الشمع، زيت الزيتون، قطع الأخشاب في الغابات. انظر:

Attaleiates, Rule of Michael Attaleiates for his Almshouse in Rhaidestos and for the Monastery of Christ Panoiktirmon in Constantinople, trans. A. M. Talbot, BMFD, note. 21, p. 370,; See also,Vera Ramirez, H. D., "Some Products in the Market of the Byzantine Empire: Silke, Wine and Oil," Albahri entro Oriente Occidente, Revista independiente de estudios historicos, 2019, p. 47.;

راجع أيضًا: محمد زايد، التركيب العرقي، ص ٦٦؛ هبة رمضان العويدي، تنوُّع مصادر الوقود في بيزنطة (ق٧-١١م)، المؤرِّخ المصري، يناير ٢٠٢٣م، عدد ٦٢، ص٢٢٧.

[٩] إدور جيبون، اضمحلال الإمبراطوريَّة الرومانيَّة وسقوطها، ت: محمد سليم سالم، ط٢، ج٢، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٣١١؛ هويدا محمد أحمد، الفلاح المصري في العصر البيزنطيِّ (٦٤١-٢٨٤م)، مجلة كليَّة اللغة العربيَّة بإيتاي البارود، العدد ٣٤، ص٣٠٥٧، ٣٠٦٠.

انتظر الفقراءُ الأعيادَ للاتِّجاه إلى الكنائس والأديرة البيزنطيَّة للحصول على مزيدٍ من الطعام والشراب، فقد احتفَل البيزنطيُّون بكثيرٍ من الأعياد الدينيَّة، كيوم ميلاد السيِّد المسيح، وعيد الفصح، وعيد القيامة، وأحد الشعانين، وهو يوم الأحد السَّابق لعيد الفصح. انظر:

محمد زايد عبد الله، طبقة العامَّة في الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة خلال العصر البيزنطيِّ الوسط (من القرن التاسع حتى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كليَّة الآداب – جامعة الفيوم، ٢٠٠٩م، ص ٩٧:٩٨.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٣

كما لعب الغذاء وأصنافُه دوراً مُميزاً في حياة الرهبان؛ وذلك لارتباطه بالجسد وانفعالاته، وبالتالي تجنَّب الرهبانُ الموادَّ الغذائيَّة التي تبعثُ في الجسم النشاطَ وتَزِيد من تدفُّق الدم، وبالتالي تَزيد من الرغبة الجنسيَّة، فلم تكنْ المُنتَجات الحيوانيَّة شائعةً في النظام الغذائيِّ الرهبانيِّ، فقد اقتصر الرهبان في طعامهم على الموادِّ الغذائيَّة البسيطة التي لا تبعث أيَّ طاقة أو نشاط في الجسم[١٠].

أمَّا بالنِّسبة للطعام الخاصِّ بأفراد الجيش البيزنطيِّ، فقد حَرَص البيزنطيُّون على اكتساب المهارات والحِرَف اللازمة لبناء جيشٍ قويٍّ؛ لضمان استمرار الإمبراطوريَّة عظيمةً بكلِّ جوانبها، لذلك كان توفيرُ وجبةٍ مُناسبةٍ للجنود من أهمِّ أساليب الحفاظ على جيشٍ قويٍّ، فقد كان الجنديُّ يحمل معه قبل المعركة وجبةً أو وجبتين من الخبز أو الشعير أو اللحم أو أيِّ وجبةٍ مسلوقة؛ لأنهم يضطرُّون أحياناً إلى قضاء الليل أو النهار في المعركة، هذا إلى جانب الحرص على الحفاظ على جودة الطعام المُقدَّم للجنود للحفاظ على صحَّة وسلامة الجنود؛ لضمان الأداء الجيِّد في المعارك والانتصار، فعلى سبيل المثال: في عهد الإمبراطور جستنيان تمَّ تقديمُ خبزٍ لم تكتملْ تسويته في الفرن للجنود؛ توفيراً للحطب، ممَّا نتج عنه تعفُّن الخبز في الأكياس، ومات بسببه نحو خمسمائة جنديٍّ[١١].

لذلك كانت الإمدادات الغذائيَّة للجيش ضروريَّةً لنجاح الحملات العسكريَّة، فمثلًا: لضمان تجنُّب فساد اللحوم كانت أبسطُ طريقةٍ لجعلها في مُتناوَل اليد، هي السفر أثناء الحملات العسكريَّة بالحيوانات الحيَّة، ولكن على الجانب الآخر كانت الجيوش بحاجةٍ مُستمرَّةٍ للأعلاف الطازجة

---

١٠ نعيمة محمد إبراهيم، الأطعمة والأشربة في الأديرة المصريَّة، ص٢٥٥.

(11)Koder,J., Stew and Salted Meat – opulent normality in the diet of every day," ," in: Eat, Drink and Be Merry (Luke 12: 19) – Food Wine in Byzantium, ed. L. Brubaker and K. Linardou, Society for the Promotion of Byzantine Studies, Birmingham, 2007,p.63.-

كانت ندرة الوقود أو الحطب تؤثِّر على قرارات الجيش البيزنطيِّ، وغالبًا ما يضطرُّون للانسحاب من أرض المعركة إذا نقص؛ لأنه بخلاف ما سبق من أهميَّة الوقود في الطرق والمُعسكرات في أرض المعركة، فإنه لا غنى عنه في طهو الطعام للجنود. لذلك فإنَّ ندرة الحطب تؤثِّر على صحَّة الجنود. انظر:

Choniates, N., Annals, O City of Byzantium, trans. H. J. Magoulias,
Detroit: Wayne State University, 1984, p.17 .; Leo V1, Taktika, trans. G. T. Dennis, Washington, D. C, 2010., pp. 283 – 285.

والمياه؛ لضمان بقاء الحيوانات على قيد الحياة، أمَّا فيما يخصُّ المياه، فلضمان الحصول على المياه العذبة وتخزينها والحفاظ عليها حلوة، كانت تُوضَع في السفن في صهريج كبير وترمى بداخلها حجارةُ الصوان؛ لضمان بقاء الماء ثابتًا بدون حركة(١٢).

طرق حفظ الغذاء:-

أيقن أباطرةُ الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة أهمِّيَّة حفظ الغذاء؛ فهي ضروريَّةٌ من أجل البقاء والاستمرار؛ لذلك حَرَصُوا على معرفة كيفيَّة حفظ الأغذية، فقد اعتَبروه أمرًا حيويًّا للغاية؛ من أجل التكيُّف مع أسلوب الحياة وتحقيق الاستقرار، فممَّا لا شكَّ فيه أنَّ الأغذية المحفوظة ضروريَّةٌ للبقاء على قيد الحياة في فترات ندرة الغذاء في الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة نفسها، فعلى سبيل المثال: في فترات الشتاء القاسي، يجبُ تخزين ما يكفي من المُؤَن والحفاظ عليها؛ لذلك حَرَصت السُّلطة البيزنطيَّة على توفير ما يكفي من الغذاء لقضاء فصل الشتاء؛ حتى لا يُعاني الشعب من الجوع، ولأنَّ الحبوب مصدرٌ أساسيٌّ للطاقة والبقاء، فقد كانت الحبوب ذاتَ أهمِّيَّة كبيرة، ومصدرَ رزق مهمًّا للإمبراطوريَّة الرومانية؛ لذلك ضمَّ الإمبراطور أوغسطس مصر في عام ٣٠ ق. م لتأمين استيراد إمداداتٍ هائلةٍ من الحبوب اللازمة كمصدرٍ لغذاء السكان، وظلَّت مصر حتى العصر البيزنطيِّ مصدرًا مهمًّا للحبوب، لذلك لجأ الأباطرة لإيجاد طرقٍ لحفظ الحبوب؛ لضمان توفير كمِّياتٍ كبيرةٍ منها لتوزيعها في أوقات ندرة الغذاء، فقد كانت طرقُ حفظ الطعام ضروريَّةً لمنع فساد الطعام.(١٣)

---

(12) Michael, G., Store in a cool and dry place:,pp45-46.

(13)Linda, L., The need for preserved food,pp.4-6-٨.

الجدير بالذِّكر أنَّ الإدارة البيزنطيَّة كانت تعتمدُ على القمح الوارد من ولاية مصر البيزنطيَّة في توفير الخبز لسكان العاصمة، إلا أنه في السنوات الأولى من القرن السابع الميلاديِّ بسبب الاضطرابات التي سادت الإمبراطوريَّة، كان وصولُ القمح المصريِّ إلى العاصمة غيرَ مُنتظم، لذلك اضطرَّت الإدارةُ البيزنطيَّةُ إلى الاستغناء عنه نهائيًّا لسقوط مصر في يد الفرس سنة ٦١٩م، ثم في يد العرب المُسلمين سنة ٦٢٤م، فاضطرَّت الحكومة إلى إلغاء منح الخبز المجانيِّ المعروف بخبز العامَّة. انظر:

Chronicon Paschale 284-628 AD,translated With notes and introduction by Michael Whitby and Mary Whitby,TTH 7,Liverpool University Prees, Liverpool,1989,1,p.711.;

راجع أيضًا: وسام فرج: أضواء على مُجتمع القسطنطينيَّة – دراسة في التاريخ الاجتماعيِّ لمدينة القسطنطينيَّة حتى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، مجلة كليَّة الآداب – جامعة المنصورة، العدد ٥، مايو ١٩٨٤، ص١٠٤.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٣

ونظراً لاعتماد الشعب البيزنطيِّ على الخبز أو الحبوب في نظامه الغذائيِّ؛ كان لا بُدَّ من تخزينها بكميَّاتٍ لتجنُّب المجاعات خلال فترات الشحِّ وندرة الطعام، فقد راعى البيزنطيُّون أنْ يكونَ التخزين في أماكنَ جافَّةٍ؛ لضمان إبعاد البكتريا والقوارض وعدم التعفُّن(١٤).

لذلك كان لدى كلِّ أسرةٍ في منزلها غرفةٌ خاصَّةٌ للتَّخزين في جِرَار أو براميلَ كبيرةٍ، فقد كانت هذه الجِرار تُحافظ على الحبوب ضدَّ التلف والأضرار النَّاجمة من الحشرات والفئران؛ لأنها تكونُ مُحكَمة الغلق، فقد كانت هناك جِرارٌ كبيرةٌ لتخزين الزيت أو النبيذ أو القمح تُوجد في منازل الأشخاص العاديِّين أو الرهبان في الريف، الذين كان عليهم الاحتفاظُ بالمحصول طَوال العامِ في منزلهم.(١٥)

كما كانت هناك طرقٌ أخرى لحفظ الغذاء، مثل التَّجفيف في الشمس أو التمليح، فقد عَرَف البيزنطيُّون الأسماكَ المُملَّحة أو اللحوم المُملَّحة، حيث كانت تُستخدَم هذه الأسماك كأطباقٍ رئيسةٍ في فترات الصيام، كما كانوا يَخلطون الخضار مع الخلِّ والملح؛ لضمان بقائه فترةً أطولَ دون تعفُّن. (١٦)

أسباب ندرة الغذاء:-

على الرَّغم من اهتمام الحكومة البيزنطيَّة الدائم بإمداد العاصمة بالمُؤَن، حتى أضحى من القليل السماع عن نقصٍ شديدٍ في الموادِّ الغذائيَّة، فقد ظلَّت أسعار الطعام معقولةً وخاصَّةً خبز الفقراء، إلى أنْ مرَّت الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة بكثيرٍ من الأزمات الغذائيَّة المُتفاقمة في أجزاءٍ مُختلفةٍ من أراضيها ناجمةٍ عن عدَّة أسباب، منها: الكوارث الطبيعيَّة والتغيُّرات المناخيَّة كموجات الطقس السيِّئ مثل الحرارة الشَّديدة أو البرد القارس وسقوط الثلوج، والجفاف والفيضانات، إلى جانب الزلازل وانتشار الأوبئة، فضلًا عن هجوم أسراب الجراد والقضاء على المحاصيل الزراعيَّة، والتي تأتى في أعقابها الأزمات الاقتصاديَّة وتُؤدِّي إلى ندرةٍ في الغذاء، فإنَّ تلف الأراضي الزراعيَّة والمحاصيل يكون نتيجةً طبيعيَّةً لتلك الكوارث، ومن المُمكن أنْ يُؤدِّيَ قيامُ

(14) Linda, L., The need for preserved food,p.7.

(١٥) Michael, G.,S tore in a cool and dry place,pp.٤١-٤٠.

(16) Koder,J., " Stew and Salted Meat – opulent,"pp. 59-61.

الزلازل إلى تدمير مخازن القمح والغلال، ممَّا يتسبَّب في ندرةٍ في الطعام، وأيضًا في بعض الأحيان تنقصُ الأيدي العاملة أو الحيوانات المُستخدَمة للزراعة بسبب انتشار الأوبئة، هذا بالإضافة إلى الفيضانات التي تُؤدِّي إلى عرقلة نقل المواد الغذائيَّة من مكانٍ لآخر، وإلى إفساد البذور عند زراعتها بسبب كثرة المياه.(١٧)، وسوف يتم تناول هذه الأسباب بشئ من التفصيل؛

حدثت كثيرٌ من المجاعات خلال القرن السادس الميلاديِّ في مُختلف الأنحاء في الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة؛ ومن أشهرها "مجاعة الرها"، التي حدثت في شهر أبريل عام ٥٠٠م، وعلى إثرها عانت الرّها من أزمةٍ غذائيَّةٍ شديدةٍ شملت ندرةً في حبوب الذُّرة وبعض الحبوب الأخرى، حتى بِيعت الأربعة موديس من الحنطة بدينار، وقد حاول سكَّان مدينة الرّها منذ البداية أنْ يتداركوا هذه الأزمة في بدايتها قبل أنْ تتفاقَمَ الأمور، فمن ضمن مُحاولاتهم اتِّجاههم لزراعة الدخن ليأكلوه، إلا أنه لم يكنْ كافيًا لإشباع جوعهم، إلى جانب أنَّه لم يَنْمُ ويزدهر، فما كان من الناس إلا أنْ قاموا ببيع مُمتلكاتهم مثل الخيول والثيران والخراف والخنازير بنصف ثمنها، وحاول البعضُ منهم الهروبَ إلى مناطقَ أخرى يتوافر فيها الغذاء.(١٨)

---

(17) Marcellinus Comes, theChronicle of Marcellinus,trans.Brain Croke, Australian Association For Byzantine Studies, Byzantina Australinsia7,Sydney ,1995,pp.10-13.; Chronicon Paschale., 1,pp.61-69-85.; Theophanes, The Chronicle of Theophanes Confessor (Byzontine and Near Eastern History (284-813)AD, Trans.Cryril Mango and Roger Scott,Clarendon Press.Oxford,1997.,p.326.; John Malalas,The Chronicle of John Malalas,trans.Elizabeth Jeffreys.Michael Jeffreys and Roger Scott With Brian Croke,Jenny Ferber,Simon Franklin, Alan James, Douglas Kelly,Ann Moffatt, Ann Nixon, Australian Association For Byzantine Studies, Byzantina Australinsia Melbourne 1986. ,p.287.;

راجع أيضًا: ابن العبري، تاريخ مختصر، وقف على تصحيحه وفهرسته: أنطون صالحان اليسوعي، دار الرائد اللبناني، لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١٤٧؛ وسام فرج: أضواء على مُجتمع القسطنطينيَّة، ص ١٠٥.

كانت القسطنطينيَّة أكبرَ مُدن العالم المسيحيِّ في العصر الوسيط، وقد تعرَّضت لكثير من المخاطر مثل الأوبئة والحرائق والزلازل، وقد كانت محطَّ اهتمام الأباطرة، فقد انتشرت حوانيت البقالة في كلِّ أنحاء المدينة لتسهيل حصول سكَّان العاصمة على حوائجهم من مُؤن وطعام. انظر: وسام فرج: أضواء على مُجتمع القسطنطينيَّة، ص ٧٢-١٠٥.

18 Joshua the Stylite, Chronicle, Eng Trans from Syriac by Wright (C.W.), (Cambridge, 1882),pp. 28..

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٣

وعلى الرَّغم من كلِّ هذه المُحاولات لتجنُّب تحولُّ هذه الأزمة إلى مجاعة، فإنه مع استمرار ارتفاع أسعار مُعظم السِّلع الغذائيَّة الرئيسة، مثل: الحنطة والشعير والحمص والفاصوليا والعدس، أدَّى إلى تفاقُم الوضع، وعانت الرّها من المجاعة، وأصبح كلُّ ما لا يُؤكل رخيصاً، مثل الملابس والأدوات والأثاث المنزليِّ، وبِيعَت هذه الأشياء بنصف أو ثلث ثمنها، لذلك قام الأسقف بطرس الرهاوي[١٩] بزيارة الإمبراطور أنستاسيوس الأول Anastasius I (٤٩١-٥١٨م) في القسطنطينيَّة، لكي يطلب منه إلغاء بعض الضرائب تخفيفاً على الناس[٢٠]، وقد شعر الإمبراطور بالأسف من أنْ يردَّ طلب الأسقف، فأعطاه فلسين Follis[٢١] إلى القروييِّن، وأعفى المُواطنين من ضريبة الميره للعسكر Annona tax[٢٢]، فقد حول أنستاسيوس ضريبة الميرة العسكرية من ضريبة

١٩ خلف الأسقف كيروس Cyrus في أسقفيَّة الرّها من ٥ يونيو ٤٩٨م، وفي فترة أسقفيته خُربت بلاد ما بين النهرين من قِبَل ملك الفرس، ومات بطرس في ليلة عيد الفصح عام ٥١٠م. انظر:

Edmund , V., Petrus(20),in. William Smith and Henry Wace(Eds.),Adictionary Of Christian Biography, Litera Ture,Sects And Doctrines,Bing Acontinuation Of The Dictionary Of The Bible,4.Vols,London,1887,Vol.4, p.324.

20 Joshua The Stylite, Chronicle,pp.29-30.; See also,Garnsey,P.,Famine and food supply in the Graeco-Roman World:responses to risk and crisis, Cambridge,1988,pp.3-4.

كان أنستاسيوس قد ألغى ضريبة **المهن** Occupation tax or Chrysargyrion،بموجب قانونه الصادر٤٩٨م، **الحرفيَّة**

وكان على حرفى الرها دفع مائة وخمسين رطلًا من الذهب، وكان مصير من لا يدفع السجن أو التعذيب، وفرح أهل الرّها فرحة عارمة عند إلغاء هذه الضريبة، وقرَّروا الاحتفال بهذه الذكرى كل عام. انظر:

Codex Justinianus, Eng Trans by Blume (F.H), (University of Wyoming, 2005), Without Pages Number, on the Internet: http://www.uwyo.edu/lawlib/blume-justinian, X1.11.1; Malalas, Chronicle, p. 223.; Evagrius, The Ecclesiastical History of Evagrius, Eng Trans by Whittby (M.), (Liverpool, 2000), p. 184; See also, Bury (J.B.), History of the later Roman Empire, Vol. 1, (London, 1958), p. 441.

٢١ فلس كلمة لاتينيّة الأصل تعني محفظة أو حقائب العملات، وبقي معنى الكلمة بهذا المعنى حتى نهاية القرن الرابع، وسُمِّيت بنوموس Nummus في نهاية القرن الخامس. انظر:

Oxford Dictionary Byzantium, Vol2,New York, Oxford University Press,1991,p. 794.

٢٢ تُعد ضريبة الميرة العسكريَّة من الضَّرائب التي يدفعُها ملاك الأراضي سنويًّا إلى خزانة الدولة نظير ما تغلُّه الأرض من محصول، وكانت قيمتها مُتغيِّرةً بحسب المساحة المزروعة، وكان الأباطرةُ حريصين على جبايتها في أوقاتها المُعتادة وعدم استثناء أحدٍ من جبايتها. انظر:

Codex Justinianus, X. 16. 3 and 4.

عينية إلى ضريبة نقدية لتسوية عجز الخزانة العامة الناتج عن إلغاء ضريبة المهن الحرفية ، كما ألزم بعض ملاك الأراضى بسداد ضريبة الميرة ذهباً لا قمحاً بإستثناء مصر وشمال افريقيا. (٢٣)

ونستشفُّ من أحداث مجاعة الرّها أنَّ الحبوب بأنواعها تعدُّ من السِّلع الغذائيَّة المهمَّة لدى المُجتمع البيزنطيِّ والتي من الصعب الاستغناءُ عنها حتى مع توافُر أنواعٍ أخرى من السِّلع الغذائيَّة.

وبطبيعة الحال في مُعظم الأزمات بشكلٍ عامٍّ تُعاني طبقة الفقراء من الآثار السلبيَّة لها وتُصبح هي المُتضرِّرة الضَّرر الأكبر، فقد كان لندرة الطعام والمجاعات أكبرُ الأثر على الفقراء على وجه الخصوص، ورغم أنَّ حاكم المدينة أَمَر بصنع مزيدٍ من الخبز، فإنَّ ذلك لم يُخفِّفْ من وطأة المجاعة خاصَّةً على الفقراء؛ الذين لم يكنْ لديهم المالُ الكافي لشراء الخبز، لذا لم يكنْ أمامهم سوى التسوُّل في الشوارع لاستجداء لقمة الخبز، لكنْ حتى هذه لم تنفعْهم؛ لأنه لم يكنْ لدى أحدٍ وفرةٌ في الخبز ليُعطِيَهم، بل حتى عندما كان يستطيعُ أحدُهم الحصولَ على بضعة بنسات Pence، لم يكنْ قادراً على شراء الخبز، بل اشتروا اللفت أو الكرنب أو الخَبَاز وأكلوها نيِّئة، وبالتالي أصبحت هناك ندرةٌ حتى في الخضار وفي كل شيء، ونتيجةً لذلك تجرَّأ بعض الناس إلى الدخول إلى الأماكن المُقدَّسة، وأكلوا الخبز المُقدَّس؛ بسبب الجوع الشديد، وقيل: إنَّ بعض الناس قطعوا قطعاً من الجثث الميِّتة، وطبخوها وأكلوها. (٢٤)

ومع استمرار نقص الموادِّ الغذائيَّة أَكَل الناس في القرى البيقة المرَّة(٢٥)، وقام آخرون بقلي العنب الذابل المُتساقط وأكلوه، وفي المدينة تجوَّل الناس في الشوارع يجمعون بقايا الخضروات المُتَّسخة ويأكلونها، وكانوا في الأروقة المُعمدة في الشوارع ينوحون من آلام الجوع ليلًا ونهاراً،

٢٣ ايهاب صديق حميده، بعض الإصلاحات الداخلية فى عهد الإمبراطور البيزنطى أنستاسيوس الأول (٤٩١-٥١٨م)،مجلة البحث العلمى فى الآداب،جامعة عين شمس – كلية البنات للآداب والعلوم والتربية،عدد١٦،ج٢، ٢٠١٥، ص ٥٤٦.

24 Joshua The Stylite, Chronicle,p. 30.

عاش كثيرٌ من أبناء الفئة الفقيرة على إحسان الآخرين، فضلًا عمَّا قدَّمت لهم مُؤسَّسات الرعاية التابعة للكنائس والأديرة من الخبز. انظر: وسام فرج، أضواء على مدينة القسطنطينيَّة، ص١٠٤.

٢٥ البيقة: نبات علفي. انظر: منير البعلبكي ورمزي منير البعلبكي، المورد الحديث، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٩م، ص١٣٠٩.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٣

حتى هَزلت أجسادهم وماتوا في النهاية. وإزاء هذا الأمر، ذَهَب حاكم المدينة، إلى الإمبراطور أنستاسيوس وأخبره عن هذه الكارثة، فأعطاه الإمبراطورُ مبلغًا من المال ليُوزَّع على الفقراء، وعندما عاد الحاكم إلى الرها، أعطى كلُّ واحد من المُحتاجين رطلًا من الخبز في اليوم، وقام بختمهم على رقابهم بالأختام الرصاصيَّة، إلا أنهم ماتوا على كلِّ حالٍ من الجوع.[٢٦]

ومن الملحوظ تكاتُف مُعظم فئات الشعب لتخطِّي هذه الأزمة، من عامَّة الشعب، وأيضًا رجال الدين وحاكم المدينة، حتى وصل الأمر إلى الإمبراطور نفسه ليجدوا حلًّا قبل تفاقُم الأزمة، ولكنْ على الرغم من ذلك ترى الباحثةُ أنه كان من الواجب على الإمبراطور من البداية أنْ يتدارَكَ هذه الأزمةَ ويقومَ بتخفيض الأسعار؛ حتى يستطيعَ الفقراءُ شراءَ احتياجاتهم من الخبز.

وفي الحقيقة، لقد توقَّع الناسُ أنْ تنتهيَ المجاعةُ بعد الحصاد في شهر يونيو ويوليو، لكن استمرَّت المجاعة رغم ذلك، وبحلول الشتاء تساقطت الأمطارُ بكثرة، فنَمَتْ الذُّرة وازدهرت، ممَّا أعطى الناسَ الأمل في أنْ يُصبح سعرُها رخيصًا، لكن أتت الرياحُ بما لا تشتهي السفن، واحترقت الذُّرة بعد هبوب الرياح الحارَّة عليها لمدَّة ثلاثة أيام، وعلى أيَّة حالٍ انتهت المجاعةُ في الرّها بحلول شهر يونيو ٥٠٢م، وأصبحت هناك وفرةٌ في الحبوب حتى بيعت ١٢ موديوس من الحنطة بدينار، والشعير بيع منه ٢٢ موديوس بدينار.[٢٧]

كذلك حدثت مجاعةٌ بسبب ندرة الغذاء في إقليم بونتس Ponto [٢٨] وبافلاجونيا Paphlagonia[٢٩]، لدرجة أنه لم يجدْ البافلاجونيُّون Paphlagones وسيلةً للحصول على طعام

---

[26] Joshua The Stylite, Chronicle,p. 31.; Allen,P., and Neil,B., Crisis management in Late Antiquity(410-590 CE):Asurvey of the Evidence from Episcopal Letters, Leiden:Brill,2013, .p. 82.

[27] Joshua The Stylite, Chronicle,pp. 34-35.;

راجع أيضًا: موسى رجب، الكوارث الطبيعيَّة في الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة (٦١٠-٢٨٤م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كليَّة الآداب، جامعة المنيا، ٢٠١٥، ص١٣٩.

[٢٨] يقع إقليم بونتس على الساحل الجنوبيّ للبحر الأسود، وهي منطقة مليئة بالآثار البيزنطيَّة. انظر:
Oxford Dictionary Byzantium,Vol3,p.1697.

[٢٩] بافلاجونيا Paphlagonia: هي منطقة في شمال آسيا الصغرى، تقع بين بيثينيا وبونتوس، وتشمل الشاطئ الجنوبيَّ للبحر الأسود وأراضي داخلية، وعاصمتها جانجرا Gangra، وقد عادت إلى ثيم الأوبسيق Opsikion في بداية القرن التاسع. انظر:
J. H. Rosser, Historical Dictionary of Byzantium (Scarecrow Press, 2001),p.312.

إلا بخَصْي أطفالهم وبيعهم[٣٠]، وأيضاً خلال عام (٥٣٧-٥٣٦م) حدثت مجاعةٌ في جميع أنحاء العالم وخاصَّةً في ولاية ليجوريا Liguria الإيطاليَّة، فقد كانت مجاعةً شديدةً للغاية، لدرجة أنَّ بعض النسوة قُمْنَ بأكل أطفالهنَّ من الجوع والحاجة.[٣١]

يُستشَفُّ ممَّا سبق، تعرُّض الإمبراطوريَّة لأزماتٍ شديدةٍ من نقص الغذاء وصلتْ إلى حدِّ حدوث كثيرٍ من الجرائم المُتفاوتة في خطورتها، كالسرقة وأكل الأمَّهات لأطفالهنَّ، ممَّا يدلُّ على شدَّة وتفاقُم الأزمة.

أمَّا إذا تطرَّقنا إلى سببٍ آخرَ من أسباب ندرة الطعام، وهو تلف المحاصيل الزراعيَّة، فقد أدَّت كثيرٌ من الأسباب إلى تلف المحاصيل الزراعيَّة، كهجوم جموع الجراد على الأراضي الزراعيَّة. على سبيل المثال، في الفترة من عام ٥٠٠ إلى ٥٠٢م، تعرَّضت بعض الأقاليم الشرقيَّة من الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة إلى هجوم من جموع الجراد والتي كانت قد وَضعت بويضها بكميَّاتٍ كبيرةٍ في عام ٤٩٩م في الأراضي الزراعيَّة، وعندما فقست البيوض في مارس ٥٠٠م التهم الجراد الصَّغير المحاصيل في مُعظم بلاد العرب وخاصَّةً في الأماكن التي في أعالي بلاد ما بين النهرين (ميزوبوتاميا Mesopotamia) [٣٢]، وعندما أصبح الجراد قادراً على الطيران، اجتاح حدود بلاد مابين النهرين، ونتج عن ذلك أنْ أصابَ الناسَ جوعٌ شديدٌ في تلك الأماكن من الإمبراطوريَّة، فما كان من الأهالي إلا أنْ قاموا بالشكوى إلى الإمبراطور أنستاسيوس من نقص المحصول بسبب الجراد، والذي قام بدوره بتخفيض الضَّرائب على سكان هذه المُقاطعة، فقد قام في عام ٥٠١م بإلغاء ضريبة الفضَّة والذهب[٣٣].

---

(30) Georgius Cedrenus, Compendium historiarum, ed. Immanuel Bekker, CSHB (Bonn, 1838), Vol.1,p.590.

(٣١) موسى رجب، الكوارث الطبيعيَّة ، ص١٦٣.

٣٢ ميزوبوتاميا ولاية رومانيَّة يحدُّها من الجنوب الشرقيِّ ولاية أسرونية، ومن الشرق ولاية الفرات، ومن الجنوب صحراء بادية الشام، كانت نصيبين عاصمة الولاية، وعلى إثر تخلِّي الرومان عن نصيبهم بمُوجب مُعاهدة ٣٦٣م، صارت آمد عاصمةَ الولاية. انظر:

Oxford Dictionary Byzantium, Vol. 2, p. 1348.

33 Joshua The Stylite, Chronicle,pp.27-28.; Theophanes,p.221.;

راجع أيضاً: سعيد بن بطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ج١، مطبعة الآباء اليسوعيّين- بيروت، ١٩٠٥، ص١٩١-١٩٢.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٣

ومن خلال الأزمتين السَّابقتين اللتين تسبَّبتَا في ندرة الطعام في عهد الإمبراطور أنستاسيوس، يتَّضح لنا حرصُ وتعاونُ هذا الإمبراطور من أجل تخطِّي هذه الأزمة، ومُساعدة الطبقات الفقيرة من الشعب البيزنطيِّ.

ومن خلال حوليَّة ثيوفانوس يتَّضح لنا مُحاولة الإمبراطور أنستاسيوس أخذ الحيطة والحذر لتجنُّب حدوث أزماتٍ مرَّةً أخرى، ففي عام ٥٠٧م قام بتحصين بعض القرى في بلاد ما بين النهرين وخاصَّةً التي تقع بين حدود الروم والفُرس، وقام ببناء المخازن لحفظ الحبوب، إلى جانب حفر آبار المياه وبناء الحمَّامات العامَّة. (٣٤)

وكذلك تسبَّبت هجمات الجراد على فلسطين عام ٥١٦م في حدوث مجاعةٍ، كذلك تعرَّضت الولايات الشرقيَّة للإمبراطوريَّة البيزنطيَّة لهجماتٍ من الجراد دمَّرت المحصول، إضافةً إلى الجفاف، ممَّا أدَّى إلى حدوث مجاعةٍ شديدةٍ في الشرق. [٣٥]

أما في عام ٥٣٤م، وأيضاً عام ٥٨٠م، اجتاحت الإمبراطوريَّةَ حشودٌ عظيمةٌ من الجراد وأكلت المحاصيل الصيفيَّة والأعشاب والخضر والبقول ومزارع فاكهة العنب، هذا إلى جانب سقوط أمطارٍ غزيرةٍ وموجاتٍ من البرد الشديد، ممَّا أدَّى إلى حدوث مجاعةٍ، إضافةً إلى أنه في سنة ٥٨١م حدثت ندرةٌ شديدةٌ في الخبز في القسطنطينيَّة على وجه الخصوص، فما كان من الإمبراطور تيبيريوس Tiberius II (574-٥٨٢م) تجاوُزًا لهذه الأزمة، إلا أنْ أعطى الخبازيِّين شعير السجن العموميِّ؛ ليصنعوا منه خبزاً، فنفد الخبز في غضون ثلاثة أيام، فلجأ الإمبراطورُ إلى أنْ أمرَ أنْ يُصنع الخبز من علف خيول السجن العموميِّ والإسطبلات الملكيَّة، ثم لجأوا إلى طحن حبوب المخازن من عدس وبازلاء وحمص وأرز ولوبيا، وخُلطت مع الشعير وصُنع منها الخبز، ورغم كلِّ هذا كانت الأيدي تتخطَّفه من الأسواق حتى لو عُرض بأسعارٍ مُرتفعةٍ (٣٦).

---

34 Theophanes, p.٢٣١

35( )Zachariah Rhetor ,. The Chronicle of Pseudo-Zachariah Rhetor: Church and War in Late Antiquity. Translated by Geoffrey Greatrex, Robert R, Phenix. and Cornelia B. Horn. Liverpool Uiversity Press, 2011 ,p.295.; Agapius,PO 8,p.425.;

راجع أيضاً، ابن العبري، تاريخ مُختصر، ص١٤٧ – ١٤٨؛ سعيد بن البطريق، التاريخ المجموع، ص١٩٨.

36( ) Zachariah Rhetor, Chronicle,p.399.;

راجع أيضاً، ابن العبري، تاريخ مُختصر، ص١٤٩؛ يوحنا الأسيوي، تاريخ الكنيسة، ك٣، ت: صلاح عبد العزيز محجوب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٦٦؛ ميخائيل السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني، ترجمة: مار غريغوريوس صليبا شمعون، ج٢، ط ١، حلب: دار ماردين، ١٩٩٦، ص٢٤٠.

وكذلك شكلت الكوارث الطبيعيَّة سببًا رئيسًا ومحوريًّا في حدوث الأزمات الغذائيَّة داخل الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة، فعلى الرَّغم من مُحاولات الأباطرة البيزنطيِّين أخذ الحيطة والحذر لتجنُّب أضرار بعض هذه الكوارث كالفيضانات، فإنها في كثيرٍ من الأحيان أضرَّتْ بأنحاءٍ كثيرةٍ في الإمبراطوريَّة، فقد كان هناك مُوظَّفون لمُراقبة بوَّابات الفيضان، وآخرون لمُراقبة الجسور أو حراسة المياه لعدم كسر القنوات قبل الفيضان، إلا أنَّ ذلك لم يستمرّ طَوال الفترة البيزنطيَّة، حيث نجد كثيرًا من سكَّان القرى الواقعة على حافة الصحراء قد تعرَّضُوا في أحوالٍ كثيرةٍ للإهمال والخراب والهجرة من قُراهم بسبب انخفاض النيل أو إهمال تطهير الترع وعدم وصول المياه إليهم، ممَّا يُؤدِّي لرداءة المحصول أو عدم وجوده من الأساس.(٣٧)

هذا وقد جاء في حوليَّة مالالاس ذكرٌ لكثير من الأحداث التي أدَّت إلى خراب الأراضي الزراعيَّة، ممَّا نتج عنه نقصُ المواد الغذائيَّة، أما فى عهد الإمبراطور جستين الأول Justin I (٥١٨-٥٢٧م)، ففي شهر مايو لعام ٥٢٤م تعرَّضت مدينة أنطاكيا لعدَّة أزماتٍ أدَّت إلى خراب المدينة ككلٍّ، فقد عانى سكَّان أنطاكيا من البرق والصواعق وسقوط الأمطار والزلازل، ممَّا أدَّى بطبيعة الحال إلى تدمير الأراضي في أنطاكيا.(٣٨)

وأيضًا في أبريل ٥٢٥م اجتاح مدينة الرّها فيضانٌ حوالي الساعة الثالثة من الليل، بينما كان بعض الناس نيامًا، وكان آخرون يستحمُّون في الحمَّامات العامَّة، وكان البعض يجلسون لتناوُل العشاء، فجأةً فاض نهر سكيرتوس Scirtus (نهر ديصان) (٣٩) ، الذي يدخل ويمرُّ عبر مُنتصف المدينة، وأغرق نصفها، وخرَّب جانبين من حائط المدينة، وجرفت معظم مباني المدينة وقلبت مساكنها. (٤٠) وأيضًا في سنة ٥٤٧م، تعرَّضت مصرُ لفيضانٍ أغرقَ مصر كلَّها، كان نتيجةً لارتفاع

---

(٣٧) السيد الباز العريني، مصر البيزنطيَّة، دار النهضة العربيَّة، ١٩٦١، ص١٠٩؛ هويدا سيد علي، نهر النيل ودوره في الحياة الاقتصاديَّة في مصر البيزنطيَّة (٦٤١-٢٨٤م)، مجلة المؤرِّخ العربي، العدد ٢٦، ج، ٢٠١٨م، ص ٢٠.

(38) Chronicle of Malalas,p.237.

(٣٩) نهر سكيرتوس هو رافد صغير لنهر الفرارت ويمر بمدينة الرها، وقد سجل هذا النهر حوالى ٤ فيضانات مدمرة.أنظر:

William,S., Dictionary of Greek and Roman geography, Boston : Little, Brown, 1870,p.806.

(40) Zachariah Rhetor, Chronicle,p.295.; Theophanes, p. 262.;Cedrenus, Historiarum Compendium,Vol.1,p.639.;Malalas, Chronicle,p.237.;CF.also, Vasiliev (A.A), Justin the First, Cambridge Massachusetts, 1950, p.350.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٣

منسوب مياه نهر النيل بما يَزِيد عن ثمانية عشر مُكعبًا، إلا أنَّ بعض الأماكن التي كانت مُرتفعةً فوق مُستوى المياه مثل منطقة طيبة Thebes استقرَّت المياه عندها وتراجعت ممَّا أعطى فرصةً لسكَّان تلك المنطقة لبذر الأرض، ومُمارسة شئونهم الاعتياديَّة، أمَّا بالنِّسبة للبلاد التي غمرها الماءُ فقد حدث فيها العكس، فلم يستطعْ أهلُها بذر البذور، فكلَّما حاولوا بذرَ البذور تدفَّقت إليها المياهُ، ممَّا أدَّى إلى تعفُّن البذور، ومن ثمَّ قلَّة الأقوات وموت مُعظم الحيوانات، وتحوَّلت حياة الناس إلى كربٍ وضيق شديد. (٤١)

وكذلك تعرَّضت سوريا سنة ٥٤٩م لفيضانٍ بسبب ذوبان ثلوج الشتاء المُتراكمة على جبل طرطوس، إضافةً إلى سقوط أمطارٍ غزيرةٍ أدَّت إلى فيضان النهر في وسط مدينة طرطوس، فدمَّر الحقول وأهلك مزارعَ العنب.[٤٢]

كما كان لسقوط الثلوج أثرُهُ على المحاصيل الغذائيَّة، ففي عهد الإمبراطور جستين الأول ، تعرَّضت الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة ٥٢٤م لسقوط الثلج والجليد، فأفسد مُعظم الأشجار وخاصَّةً أشجار الكروم.(٤٣)، وأيضًا عانت مدينة أنطاكيا في سنة ٥٢٨م من شتاءٍ شديد البرودة أدَّى إلى سقوط كثيرٍ من الثلوج، لدرجة أنَّ الإمبراطورة ثيودورا تبرَّعت بالأموال لنجدة سكان أنطاكيا، هذا إلى جانب تعرُّض الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة في سنة ٥٣٦م لكارثةٍ أثَّرت على المحاصيل الزراعيَّة، فقد مرَّت بشتاءٍ شديد البرودة غزير الثلوج، أو ما يُسمَّى بعصر التبريد العالميِّ، فقد انخفضتْ درجات الحرارة في الصيف بنسبة ٢.٥ درجة مئويَّة، وظهرت الشمس في السماء دون سطوع؛ وذلك بسبب الغبار البركانيِّ المُتراكم في الغلاف الجويِّ، ممَّا تسبَّب في إفساد المحاصيل الزراعيَّة وحدوث الأوبئة والمَجاعات(٤٤).

---

[٤١] بروكوبيوس القيصري، الحروب القوطيَّة، ت: عفاف سيد صبرة، ج٢، مُنتصف السادس والكتاب السابع، دار الكتاب الجامعي، ص١٩٣.

[42] Dionysius Of Tel-Mahre, Chronicle (Known Also As The Chronicle Of Zuqnin), Part 111,Trans.Witold Witakowski,TTH 22, Liverpool University Prees, Liverpool,1996 ,p.112.

(٤٣) ابن العبري، تاريخ مُختصر، ص١٤٧.

[44] Zachariah Rhetor, Chronicle,p.399.; Theophanes,p.270.

راجع أيضًا: ابن العبري، تاريخ مُختصر، ص١٤٩؛ عز الدين يوسف وفاطمة ساسي، جستنيان وتجارة الحرير الدوليَّة "٥٦٥-٥٢٧م"، المجلة الليبيَّة العالميَّة، بكليَّة التربية بالمرج، عدد ٥٤٤، ديسمبر ٢٠٢١م، ص١٥.

ومن ناحيةٍ أخرى؛ كما أضرَّت الفيضانات واندفاع مياهها الأراضي الزراعيَّة، كان لقلَّة المياه وجفافها آثارُها السلبيَّة على الأراضي الزراعيَّة أيضاً، فعلى سبيل المثال: في عام ٥١٦م فى عهد الإمبراطور انستاسيوس، تعرَّضت فلسطين للجفاف الذي دام حوالي خمس سنوات، كما أنه عام ٥٢٠م جفَّت عين سلوان وظلَّت جافةً لمدَّة خمس عشرةَ سنة، فكان الناس يحفرون في كلِّ مكان بحثًا عن الماء، لكنْ دون جدوى. (٤٥) أمَّا في عهد الإمبراطور جستنيان، وبالتَّحديد في عام ٥٢٩/٥٣٠م، تعرَّضت الإمبراطوريَّة لكارثةٍ خطيرة، مُتمثِّلة في انسداد مجرى نهر الفرات فوق منطقة كلوديا Claudia بجانب قرية بروسيدون Prosedion ؛ وذلك بسبب انزلاق سفح جبل عظيم، فسدَّ مجرى النهر ، وظلَّ الأمر هكذا مدَّة ثلاثة أيام وليال، فكانت النتيجة أن ارتدَّتْ مياهُ النهر إلى الخلف نحو أرمينيا، وأغرقت كثيراً من الأراضي والقرى، وسبَّب هذا ضرراً كبيراً، وجفَّت المياه في بعض المناطق، ممَّا أدَّى إلى الجفاف الحادِّ في عام ٥٣٠م، كما حدث جفافٌ شديدٌ في مدينة القسطنطينيَّة، ممَّا أدَّى إلى تسارُع الناس ناحية الصهاريج، وأدَّى ذلك – بطبيعة الحال – إلى نشوب الكثير من الصِّراعات بينهم(٤٦).

ومن الكوارث الطبيعيَّة النادرة الحدوث التي تعرَّضت لها الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة، حدوث ظاهرةٍ جويَّةٍ غامضةٍ في سنة ٥٣٦م، أثَّرت على المحاصيل الزراعيَّة حيث إنَّ الشمس لم تظهرْ لمدَّة ثلاثة عشر شهراً، فقد مرَّت الإمبراطورية بشتاءٍ شديد البرودة غزير الثلوج، ممَّا تسبَّب في إفساد المحاصيل الزراعيَّة وحدوث الأوبئة والمَجاعات ممَّا أدَّى إلى موت الطيور، وأضراراً على كافة المُستويات، فقد أدَّى أيضاً إلى عدم نضوج الثمار حتى إنَّ النبيذ أصبح طعمه كالعنب الحامض(٤٧).

وإلى جانب موجات البرد القاسية وسقوط الجليد فقد كان لموجات الحرِّ الشديد أسوأُ الأثر على كثيرٍ من المحاصيل الزراعيَّة، وبالأخصِّ المحاصيل التي لا تحتملُ المناخَ الحارَّ، فعلى سبيل

(45) Zachariah Rhetor, Chronicle,p.295.;
راجع أيضاً: سعيد بن بطريق، التاريخ المجموع، ج١، ص١٩٨.
(46) Dionysius Of Tel-Mahre, Chronicle,pp.64-75.; Malalas, Chronicle,pp.266-301.
(47) Zachariah of Mitylene, the Chronicle,trans.F.J.Hamilton and E.W.Books,London,1899.,p.267.;
راجع أيضاً: ميخائيل السرياني، ج٢، ص١٠٦-١٠٧؛ موسى رجب، الكوارث الطبيعيَّة، ص ١٦٣.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٣

المثال: تعرَّضت سوريا عام ٥٩٩م لموجةٍ من الحرِّ الشديد نتيجةً لانحباس المطر، ممَّا أدَّى إلى احتراق أشجار الزيتون في سوريا وفلسطين، كما حدث أيضًا جفافٌ عظيمٌ في مدينة بيسينوس Pessinus في آسيا الصغرى، ممَّا أدَّى إلى ذبول أشجار الفواكه والمحاصيل.[٤٨]

كما يجبُ أن لا نغفلَ سببًا مهمًّا من أسباب نقص المواد الغذائيَّة، وهو انتشار الأوبئة الذي كان نتيجةً طبيعيَّةً للخوف من العدوى، حيث يتجنَّب المُزارعون والعمَّال التعامُلَ مع الأماكن المُصابة خشية العدوى، ممَّا يُسبِّب أزمةً في نقص الغذاء في تلك الأماكن، هذا بالإضافة إلى نقص الأيدي العاملة بسبب الإصابة أو الموت من الوباء، فقد تعرَّضت مدينة القسطنطينيَّة في عام ٥٤٥م إلى نقص في النبيذ والذُّرة[٤٩]، ومن أندر الأوبئة التي أدَّت إلى حدوث مجاعة، ذلك الوباءُ الغريبُ الذي تعرَّضت له بلاد الشرق وبلاد ما بين النهرين، والذي كان من أهمِّ أعراضه هو أنْ يأكلَ الشخصُ بِنَهمٍ وشراسةٍ حتى وصل الأمرُ إلى أنْ يأكلَ الشخصُ نحو عشرة أرطال من الخبز، إضافةً إلى الخضروات وأشياء أخرى، حتى إنه ينتفخ من كثرة الطعام، ورغم ذلك لا يشبع، ويطلب المزيد من الطعام، حتى قيل: إنَّ الكثير منهم أكل الرجال من الجوع.[٥٠]

والسؤال الذى يطرح نفسه على بساط البحث: لماذا تعرضت الإمبراطوريَّة البيزنطية إلى أزماتٍ غذائيَّة رغم كثرة أقاليمها واتِّساع رقعة أراضيها ؟، فمن المُفترَض أنْ تُقدِّم الأقاليم التي ليس لديها أيُّ مشاكلَ أو أزماتٍ يَدَ العون إلى الأقاليم الأخرى، ولكننا نجد الإجابةَ من خلال بعض الأزمات التي تعرَّضت لها أقاليم الإمبراطوريَّة وردّ فعل القرى والأقاليم المُجاورة.

فعلى سبيل المثال: كانت هناك ندرةٌ في الغذاء بعد انتهاء الطاعون الجستنيانيِّ (٥٤١-٥٤٣م)[٥١] خصوصًا في القسطنطينيَّة؛ وذلك نتيجةً للنقص الحادِّ في العمَّال، وكذلك عندما وصل

---

[٤٨] ميخائيل السرياني، ج٢، ص٢٦٣.

[49] Marcellinus Comes,Chronicle,p.10.; Chronicon Paschale,pp.61-69-85.; Theophanes, p.326.;Malalas, Chronicle,p.287.;

راجع أيضًا: ابن العبري، تاريخ مُختصر، ص١٤٧.

[50] Zachariah Rhetor, Chronicle,p.417.;

راجع أيضًا: ميخائيل السرياني، ج٢، ص ١٣٢.

[٥١] انتشر هذا الوباء في مصر ثم غزَّة وعسقلان، ثم اجتاح فلسطين في عام ٥٤٢م، ومع حلول ربيع عام ٥٤٢م وصل إلى القسطنطينيَّة، وفي عام ٥٤٣م انتشر في إيطاليا وبلاد الغال، أي إنه انتشر عبر عالم البحر المُتوسِّط ومُعظم الشرق خلال عامين فقط. انظر:

Withington, J., A Disastrous History of the World: Chronicles of War, Earthquake, Plague and Flood. Great Britain: Piatkus, 2008, p. 110;

الطاعون إلى ميرا Myra[٥٢]، لم يُرسل لهم مُزارعو القرى المُحيطة حبوبًا ولا طحينًا ولا نبيذًا أو خشبًا؛ وذلك تجنُّبًا للعدوى، ممَّا أدَّى – بطبيعة الحال – إلى حدوث نقصٍ حادٍّ في السلع والغذاء في ميرا، هذا بالإضافة إلى الفترة التي أخذها الناجون للتعافي من المرض حتى يعودوا إلى صحَّتهم، وهذا تفسيرٌ واضحٌ لمُعاناة بعض الأقاليم والقرى من ندرة في الطعام رغم توافُر هذه السِّلع في الأماكن المُجاورة لهم. [٥٣]

وفي الحقيقة لقد امتدَّت الآثار الجانبيَّة لهذا الوباء، حتى بعد انتهائه؛ وذلك بسبب زيادة عدد الوفيات التي أدَّتْ إلى نقصٍ شديدٍ في الأيدي العاملة، إضافةً إلى الفترة الطويلة التي أخذها الناجون في التعافي، ممَّا يترتَّب عليه – بطبيعة الحال – حدوثُ نقصٍ شديدٍ في السلع الغذائيَّة الأساسيَّة، ولا سيَّما الذُّرة، فعلى سبيل المثال: تعرَّضت مدينة القسطنطينيَّة عام ٥٤٥م لندرةٍ في النبيذ والذُّرة، واستمرَّت هذه الأزمة حتى بعد انتهاء طاعون جستنيان.[٥٤]

وخيرُ دليلٍ على أشهر أزمةٍ ندرة غذاءٍ مرَّت بها الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة بعد انتهاء طاعون جستنيان، تلك التي مرَّت بها العاصمة الإمبراطوريَّة في شهر مايو ٥٥٥م، فقد عانت القسطنطينيَّة من ندرةٍ في الخبز والذُّرة والشعير، هذا على الرَّغم من توفُّر النبيذ واللحم فإنَّ هذه الندرةَ استمرَّت حوالي ثلاثة أشهر. [٥٥] كما تعرَّضت الإمبراطوريَّة من جرَّاء الطاعون الجستنيانيِّ إلى انهيارٍ زراعيٍّ، حيث عانى مُلاك الأراضي الزراعيَّة من نقص المُزارعين بسبب موت غالبيَّتِهم من جرَّاء الوباء، لدرجة أنه كان لا يُوجد مَن يجمع غلات الحقول أو يحصد أو يخزن، وانقضى موسمُ

راجع أيضًا: موسى رجب عبد المجيد، طاعون جستنيان (٥٤٣-٥٤١م) وآثاره على الدولة والمُجتمع في الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة، المجلة العربيَّة للعلوم الإنسانيَّة، جامعة الكويت، إصدار خاص ٢٠٢١م، ص ١٤٧-١٤٨.

[٥٢] ميرا: (دمر Demre الحديثة) عاصمة ليكيا Lycia قام ببناء أسوارها الإمبراطور مارقيان، وأعاد بناء المدينة بأكملها الإمبراطور جستنيان الأول بعد زلزال ٥٢٩م. انظر:
Oxford Dictionary Byzantium,Vol.2,p.1428.

[53] Koder, J., "Stew and Salted Meat, p. 63.

[54] Theophanes, Chronicle,p.326.;Malalas, Chronicle,p.٢٨٧.;
راجع أيضًا: موسى رجب عبد المجيد، طاعون جستنيان، ص١٦٠.

[55] Theophanes, pp.337-345.;Malalas, Chronicle,p.295.; See.also: Pauline,A., "The Justinianic plague", Byzantion 1979,p.16.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٣

حصاد العنب وليس هناك مَن يقطفُه، لذلك تعرَّضت الزِّراعة للتدهورُ والانهيار كما ذكر ميخائيل السرياني.(٥٦)

وأيضاً من أهمِّ الآثار النَّاتجة عن نقص وقلة الأيدي العاملة التي تعمل في الزراعة في أثناء فترة الطاعون الجستنيانيِّ، نُدرة الحبوب وكلّ أنواع الخضروات والثمار في جميع أنحاء الشرق، وخاصَّةً مدينة آمد التي ضربتها مجاعةٌ حادَّةٌ دامت حوالي ثماني سنوات من عام ٥٤٦/٥٤٧م إلى عام ٥٥٣/٥٥٤م، كانت منها ثلاثُ سنواتٍ حادَّة جدًّا لم يجدْ فيها الناس القمحَ ليشتروه، ولم يكنْ هناك بذورٌ لتبذر، وحتى الأرض التي بُذرت لم تنبت، وعندما أورقت ونبتت بدأت بالذبول والموت، لكن في عام ٥٥٣/٥٥٤م بدأت الحشائش بالنموِّ في الحقول، وانتهت بذلك المجاعة (٥٧).

وليس هذا وحسب، بل تفاقمت الأمور إلى حدِّ أنْ وصلت إلى انهيار جميع الأعمال وتوقُّف التجارة، وتعطُّل حركة البيع والشراء، ممَّا نتج عنه إغلاقُ المحلات وإلغاء السوق الكبرى الخاصَّة بالمدينة؛ وذلك لاختفاء السِّلع الغذائيَّة من الأسواق لتوقُّف إمدادات الطعام خشيةً من العدوى، وكان المُتضرِّر من ذلك كالمُعتاد طبقة الفقراء، فقد بيعت السِّلع الموجودة في السوق بأسعارٍ باهظة(٥٨).

وترى الباحثةُ أنه كان يُفترَض من الإمبراطور جستنيان التدخُّل لإيجاد حلٍّ لهذه الأزمة لتخفيف العِبْء عن كاهل الشعب، كما فعل الإمبراطور أنستاسيوس – على سبيل المثال – في مجاعة الرّها.

ولكنَّ الإمبراطور جستنيان في البداية لم يُعْفِ الفلاحين من الضَّرائب السنويَّة المُقرَّرة عليهم، بل أخذ منهم ضرائبَ الأراضي المُجاورة التي هجرها أو مات عنها أصحابها، ولكنَّه من الواضح أنه تدارَك الأمر وأصدر مرسوماً في عام ٥٤٥م، يقضي بعدم انتقال الضَّرائب غير المدفوعة على هذه الأراضي المهجورة إلى مُلاك الأراضي المُجاورة، كما أنه بسط السيطرةَ على الأثمان والأجور، فأراد أنْ يُساند أصحاب الأعمال والمُستهلكين بمرسومٍ يُحدِّد الأثمان والأجور.(٥٩)

---

(٥٦) تاريخ ميخائيل السرياني، ج٢، ص١٢٧؛ موسى رجب، طاعون جستنيان، ص١٦١.

(57) Dionysius of Tel-Mahre, Chronicle, pp.102-103-104-107.; Chronicle of Seert (Histoire Nestorienne). Edition Addai Scher, PO 7. Paris, 1911,p.186.; Zachariah Rhetor, Chronicle,p.417.;

راجع أيضاً: ميخائيل السرياني، ج٢، ص ١٥٥؛ موسى رجب، الكوارث الطبيعيَّة، ص ١٨٢.

(٥٨) تاريخ ميخائيل السرياني، ج٢، ص١٢٢؛ موسى رجب، طاعون جستنيان، ص١٦٢.

(59) Bury, J. B., History of the Later Roman Empire: From the Death of Theodosius I to the Death of Justinian. New York, 1958, vol. 2, p. 350.

راجع أيضاً: عز الدين يوسف وفاطمة ساسي، جستنيان وتجارة الحرير، ص١٦.

وفي الحقيقة لقد كان لأزمات ندرة الغذاء أكبرُ الأثر على الجيش البيزنطيِّ خلال القرن السادس، فعلى سبيل المثال: تأثرت بعض الأقاليم البيزنطية جراء الحروب مع الفرس فى عهد الإمبراطور أنستاسيوس، فقد عانى أهالى تلك المناطق من نقص فى بعض المحاصيل الزراعية، وأيضاً، أثناء فترة الحروب القوطيَّة البيزنطيَّة والتي امتدَّت لمدَّة ثمانية عشر عاماً (٥٥٤-٥٣٦م)، وأدَّت إلى خراب إيطاليا، حيث تعرَّضت خلالها لنفاد الطعام، وبارت الأراضي التي كانت من قبلُ خصبةً، ممَّا أدَّى إلى نقص موارد الغذاء، إضافةً إلى كثرة حالات النهب والسلب ونقص أعداد السكان، حيث كان نصفُهم تقريباً من الفقراء الذين يعيشون على الصَّدقات البابويَّة. كذلك اضطرَّ بلزاريوس قائد الجيش البيزنطيِّ – في إحدى معاركه مع القوط – إلى الاقتصاد في المُؤَن، فقد كان ينتظر وصولَ المُساعدات والمُؤن من قِبَل الإمبراطور جستنيان، كذلك الحالُ أثناء تعرُّض البيزنطيِّين للهجمات من قِبَل الفرنجة، اضطرَّ الفرنجة إلى العودة إلى بلادهم لانتشار الأمراض بين رجالهم ووفاة مُعظمهم من سوء التغذية وإصابتهم بأمراض الإسهال والدوزنتاريا [٦٠].

وعلى الجانب الآخر؛ كان لندرة الغذاء في الحروب آثارٌ إيجابيَّةٌ على الجيش البيزنطيِّ، فمن المُتعارَف عليه أنَّ بلزاريوس استَخدم بعض التيكتيكات في أثناء حصاره للمدن في الحروب، ففي أثناء حصاره لمدينة رافنا Ravenna الإيطاليَّة أثناء حروبه مع القوط سنة ٥٣٥م، استَخدم استراتيجيَّة قطع قنوات المياه أو ما يُطلَق عليه حرب المياه، وفي أثناء ذلك، أوشك القوط الشرقيُّون المُحاصَرون في رافنا على الهلاك من الجوع، فقد نفد منهم الطعام والتموين، فأكلوا الحشائش، ولمَّا اشتدَّ عليهم الأمر وافقوا على تسليم المدينة، على أنْ يكونَ بلزاريوس ملكًا لهم، وبذلك يكون بلزاريوس قد حقَّق مخطَّطه الحربي. [٦١]

---

[٦٠] بروكوبيوس القيصري، الحروب القوطيَّة، ج٢، ص٨؛ نادية محمود فرحان، حروب الإمبراطور جستنيان الأول (٥٦٥-٥٢٧م) في المصادر والمراجع العربيَّة والبيزنطيَّة، مج٣، عدد٣٣، حوليَّة كليَّة الدِّراسات الإسلاميَّة والعربيَّة للبنات بالإسكندريَّة، ص١٢١٠.؛ ايهاب صديق حميده، بعض الإصلاحات الداخلية ، ص ٥٤٩.

[٦١] بروكوبيوس، الحروب القوطيَّة، ج٢، ص٦٣:٦٦؛سهام محمد عبد العظيم، الاستراتيجيَّة والتيكتيك العسكري البيزنطي في عهد جستنيان، مجلة المؤرِّخ المصري، ع٣٣، يوليو ٢٠٠٨، ص ٨٢.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٣

وفي الحقيقة، أنَّ الجنود البيزنطيِّين استغلُّوا المجاعات لدى سكَّان رافنا، ولا سيَّما الرومان منهم، وكانوا يبيعون لهم الغذاءَ بأسعارٍ مُرتفعة، حتى إنهم بعد ما نفدت منهم العملات، أحضروا سلعًا من منازلهم وتبادلوها بما يحتاجون إليه من القوت اليوميِّ.(٦٢)

ولم تكنْ هذه المرَّةَ الوحيدةَ التي استخدم فيها بلزاريوس هذه الاستراتيجيَّة، ففي أثناءحروبه مع القوط فى مدن ايطاليا وحصاره لمدينة أرفينتيوس Arventius، أراد إجبارَ أهلِها على الاستسلام، فقد تعرَّضوا لمجاعة عندما نفدت كافة الإمدادات لديهم، لدرجة أنهم أخذوا يأكلون جلود الحيوانات بعد نقعها في الماء لمدَّةٍ طويلة، وأكلوا رغيفَ العيش المصنوع من ثمار أشجار البلوط. ويصف بروكوبيوس وضعَهم فيقول: إنَّ أجسادَهم هزلت، وسيطرت الصفراء على أجسامهم، وأصبحت ألوانُهم شاحبةً وجلودُهم في مُنتهى الجفاف وتحوَّلت للَّوْن الأسود الداكن، ومات البعض بسبب نقص الطعام، وعلى النقيض من ذلك يَذكر بروكوبيوس أنَّ بعضهم مات بسبب تُخمتهم، حيث كلَّما أعطاهم أحدٌ الطعام حتى الشبع ماتوا فورًا؛ حيث إنهم كانوا غيرَ قادرين على هضم الطعام؛ نظرًا لانكماش المعدة من قلَّة الطعام، فعندما أكلوا كميَّةً كبيرةً من الطعام حَدَث لهم عسرٌ في الهضم أدَّى إلى الوفاة.(٦٣)

وفى الحقيقة يجب علينا ألا نغفل عن موقف السلطات الحاكمة لمواجهة تلك الأزمات ، فمن خلال الأحداث السابقه يتبين لنا محاولة الأباطرة تجاوز الأزمات وعدم تفاقمها، فنجد الإمبراطور أنستاسيوس بالإضافة إلى تعاطفة مع الفقراء أثناء أزمات نقص الغذاء، إلا أنه أولى أهتمام خاص بسكان المناطق المنكوبة بكوارث طبيعية ، فقد قام بتخفيض الضرائب على المتضررين من أحداث مجاعة سنه ٥٠٠م ،كما أمر بنفس الشئ فى المناطق التى تأثرت بالحرب مع الفرس، فقد أعفى سكان آمد من الضرائب لمدة سبع سنوات بعد خروج الفرس من المدينة عام ٥٠٥م،وكذلك ظهرت كفاءة الإمبراطور أنستاسيوس من خلال محاولاته لحل أزمة نقص القمح اللازمة لأحتياجات

(٦٢) بروكوبيوس القيصري، الحروب القوطيَّة، ج٢، ص١٤٨-١٤٩.

(٦٣) بروكوبيوس القيصري، الحروب القوطيَّة، ج٢، ص٣٧:٤١.

السكان، فقد قام بشراء القمح وفقًا لما يعرف بسياسة "الشراء الإجبارى" Forced Purchase. (٦٤)

هذا إلى جانب ماقام به الإمبراطور جستينيان بمحاولات لتجاوز أزمة ندرة الغذاء بعد أنقضاء الطاعون الجستنيانى، فقد حاول تثبيت الأسعار فى الأسواق للقضاء على جشع التجار، كما قامت الإمبراطورة ثيودورا بالتبرع بالأموال لنجدة سكان أنطاكيا من جراء سقوط الثلج على المحاصيل وتدميره، كما قام الإمبراطور تيبريوس بإعطاء شعير السجن للخبازين لصنع الخبز، وأمر بصنع الخبز من علف الخيول ، بالإضافة إلى أنه أمر بطحن الحبوب مثل العدس والأرز لصنع الخبز. (٦٥)

ونستدلُّ ممَّا سبق على أنه على الرَّغم من اتِّساع رقعة الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة وتنوُّع مناخها ممَّا أدَّى إلى كثرة المحاصيل واختلافها، فإنَّ أزمة ندرة الغذاء تعدُّ مِن أصعب الأزمات التي مرَّت بها الإمبراطوريَّة؛ لِمَا تُخلفه من عواقبَ وخيمةٍ على المُجتمع البيزنطيِّ، فنجد أنَّها أثَّرت على الاقتصاد وأدَّت إلى انهيار التِّجارة إلى جانب العواقب الوخيمة لسوء التغذية التي وصلتْ لحدِّ بعض الاضطرابات والمشاكل الصحيَّة، كما يجبُ ألا نغفلَ تأثيرَها على الجيش البيزنطيِّ حيث أثَّرت على مسار الحروب.

---

(64) Codex Justinianus, X. 16. 3 - X.27 . 2; Joshua The Stylite, Chronicle,pp.27-28.
حدد أنستاسيوس فى أحد قوانينه قواعد الشراء على النحو التالى : لايجوزإجبار ملاك
أولًا:
الأراضى على البيع الإجبارى إلا فى حالات الضرورة فقط وبموجب أمر امبراطورى؛ ثانيًا: إذا تجرأ أى مسئول وفرض البيع الإجبارى دون أمر امبراطورى وبما يخالف القانون ،يعاقب بغرامة قدرها خمسون رطلًا من الذهب، ويفقد منصبه ويخضع للعقاب الشديد. أنظر:

Codex Justinianus, X.27 . 2.

(65) Zachariah Rhetor, Chronicle,p.399.;

راجع أيضًا، ابن العبري، تاريخ مُختصر، ص١٤٩.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٣

الخاتمة والنتائج:-

- تعدُّ الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة من أعظم الإمبراطوريَّات على مرِّ التاريخ، فهي إمبراطوريَّةٌ مُترامية الأطراف تشمل العديد من الأراضي مُتنوِّعة المناخ، وبالتالي فهي تمتلكُ كثيراً من الموارد الغذائيَّة، وكان الغذاءُ الرئيسُ للسكَّان هو الخبز والحبوب، وعلى الرَّغم من اتِّساع رقعة الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة وتنوُّع مواردها الغذائيَّة، فإنها عانت من أزماتٍ غذائيَّةٍ حادَّةٍ في بعض الفترات، وقد أدَّت هذه الأزماتُ إلى حدوث مجاعاتٍ شديدةٍ كان لها تأثيراتٌ سلبيَّةٌ على المُجتمع البيزنطيِّ.
- يُمكن القول: إنَّ الأزماتِ الغذائيَّةَ التي مرَّت بها الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة خلال القرن السادس الميلاديِّ كانت نتيجةً لتداخُل عدَّة عوامل، منها الكوارث الطبيعيَّة، الحروب، وانتشار الأوبئة، ممَّا يجعلُها فترةً جديرةً بالدِّراسة.
- وصلت أزماتُ ندرة الطعام في بعض الأحيان إلى حدِّ المجاعات الشديدة والتي كان لها بعضُ الآثار السلبيَّة على المُجتمع، فمِن شدَّة الجوع لجأ البعضُ إلى سرقة الخبز المُقدَّس من بيوت الدِّين، كما لجأ البعضُ إلى أكل جثث الموتى، بل وصل الأمرُ بهم إلى حدِّ بيع أطفالهم للحصول على الغذاء.
- أدت ندرة الطعام إلى ارتفاع أسعار السِّلع الغذائيَّة الرئيسة، مثل الحبوب المُستخدَمة في صناعة الخبز، أمَّا غير ذلك فقد بُخس ثمنه، وخيرُ دليلٍ على ذلك ما حدث في مجاعة الرّها (٥٠٢-٥٠٠م).
- لم يقفْ الشعب البيزنطيُّ مكتوفَ الأيدي أمام أزمات ندرة الطعام، فقد حاول مُعظم الأهالي جاهدين الحدَّ مِن تحوُّل تلك الأزمات إلى مجاعة.
- تمتَّع كثيرٌ من الأباطرة البيزنطيِّين بالقدرة على حلِّ الأزمات ومُواجهتها، فكان لكثير من الأباطرة دورٌ بارزٌ لمُواجهة هذه الأزمات وتقديم المُساعدات للشعب حتى لا تستفحلَ الأمور، فقد لعب كثيرٌ من الأباطرة البيزنطيِّين دوراً في مُحاولة تخفيف حدَّة الأزمات من خلال تقديم المُساعدات وتخفيض الضَّرائب في بعض الأحيان، كما حَرَصُوا على إيجاد طرقٍ لحفظ الغذاء وتخزينه؛ لضمان استمراريَّتِه في فترات الشحّ مثلما فعل الإمبراطور أنستاسيوس والإمبراطور تيبريوس.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر الأجنبيَّة:-

-Attaleiates, Rule of Michael Attaleiates for his Almshouse in Rhaidestos and for the Monastery of Christ Panoiktirmon in Constantinople, trans. A. M. Talbot, BMFD, note. 21.

-Chronicon Paschale 284-628 AD,translated With notes and introduction by Michael Whitby and Mary Whitby,TTH 7,Liverpool University Prees, Liverpool,1989.

-Chronicle of Seert (Histoire Nestorienne). Edition Addai Scher,PO 7. Paris, 1911.

-Dionysius Of Tel-Mahre, Chronicle (Known Also As The Chronicle Of Zuqnin) Part 111,Trans.Witold Witakowski,TTH 22, Liverpool University Prees, Liverpool,1996.-

-Codex Justinianus, Eng Trans by Blume (F.H), (University of Wyoming, 2005), Without Pages Number, on the Internet: http://www.uwyo.edu/lawlib/blume-justinian, X. 16. 3 and 4.

-Evagrius, The Ecclesiastical History of Evagrius, Eng Trans by Whittby (M.), (Liverpool, 2000)

- Georgius Cedrenus, Compendium historiarum, ed. Immanuel Bekker, CSHB (Bonn, 1838), Vol.1,p.590.

-Joshua the Stylite, Chronicle, Eng Trans from Syriac by Wright (C.W.), (Cambridge, 1882)

-John Malalas,The Chronicle of John Malalas,trans.Elizabeth Jeffreys.Michael Jeffreys and Roger Scott With Brian Croke,Jenny Ferber,Simon Franklin, Alan James, Douglas Kelly,Ann Moffatt, Ann Nixon, Australian Association For Byzantine Studies, Byzantina Australinsia 4 Melbourne 1986.

-Niketas Choniates, O City of Byzantium, Translated by Harry J. Magoulias, Wayne State University Press.١٩٨٤

Leo V1, Taktika, trans. G. T. Dennis, Washington, D. C, 2010.-

-theChronicle of Marcellinus,trans.Brain Croke, Australian Association For Byzantine Studies, Byzantina Australinsia7,Sydney ,1995,

-Theophanes the Confesso, The Chronicle of Theophanes Confessor (Byzontine and Near Eastern History (284-813)AD, Trans.Cryril Mango and Roger Scott,Clarendon Press.Oxford,1997.

-Zachariah of Mitylene, the Chronicle,trans.F.J.Hamilton and E.W.Books,London,1899.

- Zachariah Rhetor ,. The Chronicle of Pseudo-Zachariah Rhetor: Church and War in Late Antiquity. Translated by Geoffrey Greatrex, Robert R, Phenix and Cornelia B. Horn. Liverpool Uiversity Press, 2011.-

ثانيًا: المصادر العربيَّة والمترجمة:

– ابن العبري، **(غريغوريوس أبو الفرج ابن اهرون الطبيب الملطي)**، تاريخ مُختصر، وقف على تصحيحه وفهرسته: أنطون صالحان اليسوعى، دار الرائد اللبناني، لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

– بروكوبيوس القيصري، الحروب القوطيَّة، ت: عفاف سيد صبرة، ج٢، منتصف السادس والكتاب السابع، دار الكتاب الجامعي.

– سعيد بن بطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ج١، مطبعة الآباء اليسوعيِّين – بيروت، ١٩٠٥.

- قسطوس بن اسكوراسكينه، كتاب الفلاحة اليوناني، ترجمه من اليونانية/ سرجس بن هليا الرومي، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م.

- ميخائيل السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني، ترجمة: مار غريغوريوس صليبا شمعون، ج٢، ط ١، حلب: دار ماردين، 1996.

– يوحنا الأسيوي، تاريخ الكنيسة، ك٣، ت: صلاح عبد العزيز محجوب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة٢٠٠٠م.

ثالثًا: المراجع الأجنبيَّة:–

-Allen,P., and Neil,B., Crisis management in Late Antiquity(410-590 CE):Asurvey of the Evidence from Episcopal Letters, Leiden:Brill,2013 .

–Allen, P., "The Justinianic Plague", Byzantion 49 (1979).

-Bury (J.B.), History of the later Roman Empire, Vol. 1, (London, 1958)

- ……....., History of the Later Roman Empire: From the Death of Theodosius I to the Death of Justinian. New York, 1958, vol. 2.

-Charanis,p.,The Transfer of Poulation as a Policy in the Byzantine Empire,Comparative Studies in Society and History , Jan. 1961.

-D. C. Stathakopoulos, Between the field and theplate: how agricultural productswere processed into food, Papers of the 37th annual Spring Symposium of Byzantine Studies(Eat, Drink, and Be Merry (LukE 12:19) Food and Wine in Byzantium), in Honour of Professor a.a.M. Bryer., Byzantine Studies,2007.

-Edmund, V., Petrus(20),in. William Smith and Henry Wace(Eds.),Adictionary Of Christian Biography, Litera Ture,Sects And Doctrines,Bing Acontinuation Of The Dictionary Of The Bible,4.Vols,London,1887,Vol.4.

-Garnsey,p.,Famine and food supply in the Graeco-Roman World:responses to risk and crisis, Cambridge,1988.

J. H. Rosser, Historical Dictionary of Byzantium (Scarecrow Press, 2001).

-Koder,J., Stew and Salted Meat – opulent normality in the diet of every day?,in Leslie Brubaker and Kallirroe Linardou(eds.),Eat,drink and be Merry (Luke 12:19)- Food and Wine in Byzantium Ashgate,2007.

-Laiou, A. E. and Morrisson, C., The Byzantine Economy, Cambridge University Press, 2007.

-Linda, L., The need for preserved food in the Byzantine Empire, Universiteit Leiden, Faculteit der Archeologie,2014.

-Michael, G., Store in a cool and dry place: perishable goodsand their preservation in Byzantium, Papers of the 37th annual Spring Symposium of Byzantine Studies(Eat, Drink, and Be Merry (LukE 12:19) Food and Wine in Byzantium), in Honour of Professor a.a.M. Bryer., Byzantine Studies,2007.

-Oxford Dictionary Byzantium, Vol. 2-Vol.3, New York, Oxford University Press,1991, p. 1348.

- Pauline,A., "The Justinianic plague", Byzantion 1979.

Vasiliev (A.A), Justin the First, (Cambridge Massachusetts, 1950.-

-Vera Ramirez, H. D., "Some Products in the Market of the Byzantine Empire: Silke, Wine and Oil," Albahri entro Oriente Occidente, Revista independiente de estudios historicos, 2019.

-William,S., Dictionary of Greek and Roman geography, Boston : Little, Brown, 1870.

-Whittow.M., The Making of Byzantium,600-1025,University Of California Press,1996.

−Withington, J., A Disastrous History of the World: Chronicles of War, Earthquake, Plague and Flood. Great Britain: Piatkus, 2008.

رابعًا: المراجع العربيَّة والمُترجمة

– إدور جيبون، اضمحلال الإمبراطوريَّة الرومانيَّة وسقوطها، ت: محمد سليم سالم، ط٢، ج٢، القاهرة، ١٩٩٧م.

– السيد الباز العريني، مصر البيزنطيَّة، دار النهضة العربيَّة، ١٩٦١.

– ايرين فرانك وديفيد براونستون، طريق الحرير، ت: أحمد محمود، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٨٦.

– ايهاب صديق حميده، بعض الإصلاحات الداخلية فى عهد الإمبراطور البيزنطى أنستاسيوس الأول (٥١٨-٩٤١م)،مجلة البحث العلمى فى الآداب،جامعة عين شمس – كلية البنات للآداب والعلوم والتربية،عدد١٦،ج٢، ٢٠١٥.

– سهام محمد عبد العظيم، الاستراتيجيَّة والتيكتيك العسكري البيزنطي في عهد جستنيان، مجلة المؤرِّخ المصري، ع٣٣، يوليو ٢٠٠٨.

– عز الدين يوسف وفاطمة ساسي، جستنيان وتجارة الحرير الدوليَّة "٥٦٥-٥٢٧م"، المجلة الليبيَّة العالميَّة، كليَّة التربية بالمرج، عدد ٥٤٤، ديسمبر ٢٠٢١م.
– محمد زايد عبد الله، طبقة العامَّة في الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة خلال العصر البيزنطيِّ الوسيط (من القرن التاسع حتى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كليَّة الآداب –جامعة الفيوم، ٢٠٠٩م.
– .....، التركيب العرقي والطبقي للمُجتمع البيزنطيِّ، نشر في المُجتمع البيزنطي، دار الحياة، ٢٠١٧م.
– منير البعلبكي ورمزي منير البعلبكي، المورد الحديث، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٩م.
– موسى رجب، الكوارث الطبيعيَّة في الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة (٦١٠-٢٨٤م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كليَّة الآداب، جامعة المنيا، ٢٠١٥.
– .....، طاعون جستنيان (٥٤٣-٥٤١م) وآثاره على الدولة والمُجتمع في الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة، المجلة العربيَّة للعلوم الإنسانيَّة، جامعة الكويت، إصدار خاص ٢٠٢١م.
– نادية محمود فرحان، حروب الإمبراطور جستنيان الأول (٥٦٥-٥٢٧م) في المصادر والمراجع العربيَّة والبيزنطيَّة، مج٣، عدد٣٣، حوليَّة كليَّة الدِّراسات الإسلاميَّة والعربيَّة للبنات بالإسكندريَّة.
– نعيمة محمد إبراهيم، الأطعمة والأشربة في الأديرة المصريَّة في العصر البيزنطيِّ – دراسة تاريخيَّة في ضوء سياحة الطعام Food Tourism، مجلة اتِّحاد الجامعات العربيَّة للسِّياحة والضِّيافة (JAAUTH)، مج٢٣، عدد١، ديسمبر ٢٠٢٢.
– هبة رمضان العويدي، تنوُّع مصادر الوقود في بيزنطة (ق٧-١١م)، المؤرِّخ المصري، يناير ٢٠٢٣م، عدد ٦٢.
– هويدا محمد أحمد، الفلاح المصري في العصر البيزنطيِّ (٦٤١-٢٨٤م)، مجلَّة كليَّة اللغة العربيَّة بإيتاي البارود، العدد ٣٤.
– وسام فرج، العلاقات بين الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة والدولة الأمويَّة حتى نهاية القرن الثامن الميلاديِّ، الإسكندريَّة، ١٩٨١م.
– ------، أضواء على مُجتمع القسطنطينيَّة: دراسة في التاريخ الاجتماعيِّ لمدينة القسطنطينيَّة حتى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، مجلة كليَّة الآداب – جامعة المنصورة، العدد ٥، مايو ١٩٨٤.